مشكلة جامعية

للأستاذ كامل محمود حبيب

كتبت فى العدد (٩٠٦) من الرسالة الغراء نداء إلى حضرات الأساتذة الأجلاء عمداء الكليات بالجامعات المصرية وهيئة التدريس بها ، أستفتيهم فى أمر رجل ليس مغموراً ولا نكرة ولا متخلفاً فى ركب الحياة ، تخرج فى مدرسة المعلمين العليا حين تخرج فلم يدع العلم ولا انصرف عن الكتاب ولا اطمأن إلى فتور النفس ، فأصاب ثقافة عالية أخرى نالها من طول ما قرأ ومن طول ما اطلع . وعاش حيناً من الدهر يرسف فى قيود الوظيفة ، ثم ضاق بالوظيفة أو ضاقت هى به ، ولكنه لم يرد أن يتبطل ترفعاً منه وأنفة ، ولا أن يسكن إلى حياة الريف خشية أن يصيبه الجمود الذى يقتل العقل أو أن يعصف به الفتور الذى يعصف على الذكاء ، فتقدم إلى كلية عملية من كليات جامعة فؤاد الأول ، يطمع أن يكون طالباً بين شبابها على حين قد طوى عمر الشباب ، وعلى حين أنه يعلم طول الشقة وبعد الغاية وصعوبة المرتقى ؛ غير أن فى النفوس الكبيرة الوثابة طمعاً ما يهدأ أبداً ، وأن فيها أملاً مشبوبا ما يفتر . وجاء - بعد أيام - رد « المسجل » يقول للرجل « .. ونأسف لعدم إمكان قبولكم بالقسم المذكور إذ أن القبول به قاصر على الطلاب الحاصلين على شهادة التوجيه (كذا) »

وخيل للرجل أن « المسجل » لا يملك أن يرد طلبه ، فالمسجل فى ظن الرجل - موظف يذله قانون وتقيده لائحة ، فهو لا يستطيع أن يبت فى أمر برأى إلا أن تسنده مادة من قانون ، أو يدعمه بند من لائحة ، فكتب إلى عميد الكلية ينشر أمامه الخبر كله عله يجد الرأى الذى عزب عن « المسجل » أولا فيسمع حكم مجلس الكلية .. كتب الرجل إلى العميد وفى رأيه أن عميد كلية ما من كليات الجامعة ليس سوى رجل علم وأدب واجتماع : يبذل من عقله للعلم ويبذل من قلبه للأدب ويبذل من نفسه للجماعة ؛ وأنه ليس موظفاً كبيراً فى ديوان من دواوين الحكومة تبطره النعمة ويفتنه المنصب كما ذكر تاريخه

وهو ما يرضى الله والرسول فانهضوا جادين لتتخذوا مقامكم عزيزاً بين الأمم إن لم يكن فوقها والعزة لله ولرسوله والمؤمنين ، وكافحوا حتى تكون كلمة الله هى العليا

كنت أريد أن تحدث عن علة عدم اتخاذ الصحابة من مولده (ص) مبدأ للتاريخ الإسلامى وكذلك كنت أعنى أن أبين سبب عدم إقامة قبة لقبر النبى (ص) فى الصدر الأول ولكن القول فى ذلك يطول. على أنى أختم قولى بالضراعة إلى الله سبحانه أن تكون هذه الليلة [1] التى انبثق فيها نور من اصطفاه الله لهداية من فى الأرض جميعاً مبدأ لجهاد لنا جديد فيكون كل مسلم جنديا دينيا بآدابه وأخلاقه وأعماله وأحكامه وليكن خلقنا جميعا (القرآن) — وهدينا الحنيفية السمحة التى تركها لنا النبى بيضاء ؛ ليلها كنهارها ليعود إلينا مجدنا ، وينتشر بين أرجاء الأرض نور ديننا ونأتى فى مثل هذه الليلة إن شاء الله ، ورسول الله (ص) راض عنا مشرف بهائه علينا

هذا ما أرجوه وأعناه ، واليقين أنكم وأنتم مسلمون حقا ستلبون دعوتى وتحققون رجائى وأمنيتى ، وما رجائى إلا رجاؤكم جميعاً وما أمنيتى إلا أمانيكم جميعاً

هذه كلمة خالصة صادرة من قلبى فأضرع إلى الله تعالى أن يكتب لها التوفيق والقبول حتى تتخطى هذه المظاهر الزائلة وتنفذ إلى قلوبكم فتمس شغافها لينقدح فيها نور الإيمان الصحيح فتتجلى فى أعمالكم الصالحة ومن ثم تبدو الرسالة المحمدية لأمم الأرض جميعاً على وجهها وتظهر فى غير خفاء عظمة من أتى بها فيسجدون له سجود الإكبار ويعلمون حقا أنه صلوات الله عليه مصلح الإنسانية الأعظم وأن ما يقام له من حفلات لم يكن لهواً ولا لعباً وأن ما يقال فى وصفه لم يكن مذيا ولا كذبا .

هذا ما أبتهل به إلى الله ، والسلام عليكم ورحمة الله

المنصورة — محمود أبو رية

[1] ـ مولد النبى صلوات الله عليه هو أمر اصطلحوا عليه وإلا فلا يعلم على التحقيق الليلة التى ولد فيها

يوم أن كان موظفاً حقيراً ، يوم أن كان لغى فى ناحية من الديوان ولكنه تسم إلى ذرى المنصب العلى الخطير يوم أن تسنمه بقوة العلم الذى يرفع النفس عن الصغار ويسمو بالروح عن السفساف ويصفى الخاطر من الخبث ، فهو رجل ارتفع بكبرياء العلم الذى لا تستر له زينة الحياة ولا يستهويه ألق النجاح ولا يفتنه بهرج المنصب . كتب الرجل الذى تعلم العلم والأدب إلى « صاحب السعادة » عميد الكلية ... كتب وإن زيف اللقب لا يكاد يسمو إلى موطئ قدميه ، وإن طنين الرتبة لا يكاد يبلغ مسمعيه ، ثم هو رجل يترفع بنفسه أبداً عن أن يتطامن للجاه أو يتصاغر أمام المال ... كتب إلى عميد الكلية وفى خياله أن عالماً يتحدث إلى عالم ، أو أن أديباً يكتب إلى أديب ، أو أن عقلا يحدث عقلا ، أو أن رأياً يخاطب رأياً ... ولكن ...

ولبث الرجل أياماً ينتظر رأى العميد ، ولكن العميد كان قد أخذته روعة المنصب فعز عليه أن يتنزل إلى مستوى الناس ، وغره جاه الوظيفة فأصم أذنيه ، وصرفته رنات اللقب فلم يلق بالا لأمر ؛ ونسى العميد أنه رجل علم وأدب واجتماع ، يجب أن يبذل من عقله للعلم وأن يبذل من قلبه للأدب وأن يبذل من نفسه للجماعة . لقد أمسك العميد عن أن يقول كلمة واحدة فى أمر ذى بال . ولست أدرى أكان ذلك سهواً منه أم إغفالا أم امتهانا لشأن الرجل الذى لم يعرفه بعد ... أو لعله تلبث طويلاً ينتظر أن يتوسل إليه الرجل بواحد من العظماء كرأيه أو من ذوى الجاه والسلطان ليكون له على الرجل فضلان ، ولكنه غاب عنه أن فى العلم ترفعاً يأبى أن ينحط وأن به كبرياء لا يتصاغر أبداً

وجاءنى الرجل يشكو الكلية التى أغفلت رسالتها الجامعية ونسيت روحها العلمية

قال الرجل « ولبثت أياماً أنتظر رأى العميد ، ولكن العميد كان ذا مال وثراء فشغله بريق المادة عن أن يخلص للعلم وحده »

قلت « إنك تتجنى على أساتذتنا وهم قادتنا إن حزب الأمر وهم منارتنا إن عزب الرأى »

قال الرجل « حاشاى أن أفتات أو أتجنى . وأعجب العجب أن يتراءى العميد العالم أمام نفسه موظفاً كبيراً ذا خطر وشأن فتأخذه — من ناحية — غطرسة المنصب وعزة الرتبة ، وأن تشغله من ناحية أخرى دواعى الحياة وترف العيش عن أن يصبر على مشقة العلم »

قلت « إن فى نفسك — يا صاحبى — ثورة جارفة فهدئ من روعك »

قال « فماذا تقول أنت إن عرفت أن العميد قد بلغ أكبر منصب علمى فى الشرق دون أن يشارك فى النهضة العلمية ببحث علمى عالى واحد يشفع له ؟ وأنه قد فاز بأكبر لقب فى الدولة دون أن يشاطر فى النهضة الوطنية الكبرى بعمل واحد كبير يشهد له ؟ »

قلت « إن عبقريته السامية هى التى دفعته ليتسنم الذروة التى تقصر دونها همة العباقرة الأفذاذ »

قال « أما الكلية نفسها فقد تخلفت عن كليات العالم كله فلم تخرج على العالم ، فى ثورة العلم وتقدمه بشئ ذى خطر على حين قد سلخت نيفا ومائة سنة من عمرها المديد »

قلت « لا عليك ، فسأنشر قضيتك أمام أساتذة الجامعة وهم قضاتنا وفيهم الرأى السديد والعقل الحر »

وكتبت إلى حضرات الأساتذة الجامعيين أستفتيهم فى أمر الرجل ، وانتظرت الرأى الذى ينير والفتوى التى تهدى ... ثم انتظرت أسابيع فلم أظفر من واحد منهم بكلمة

وقلت لنفسى : لعل واحداً من حضرات الأساتذة الأجلاء لم يقرأ نداءه له نشرته أكبر مجلة أدبية فى الشرق . ولا عليه من بأس إن لم يكن قد قرأ ما كتب ، فشواغل الحياة كثيرة تصرف الناس عن القراءة ومطالب العيش ثقيلة تضن بالمال على دواعى المطالعة . وليس للعقل أن يتكلم حين تلح حاجات العيش

أو لعل واحداً منهم لم يجد الرأى الذى يشفى ولم يعثر — فى خاطره — على الصواب الذى ينقع ، فأمسك على ضيق وحصر خيفة أن يكلف نفسه شططاً

أو لعل واحداً منهم لم يشأ أن يقذف بالرأى الحر الجرئ فيتخطى بذلك تقاليد الوظيفة التى تقيد المرءوس برغبة الرئيس فيجلب على نفسه همية غضب العميد والخروج على التقاليد فآثروا جميعاً العافية فى الصمت

أو امله الترف العقلى الذى يصيب الرجل فيقعد به عن الكد حين يخيل إليه أنه بلغ الغاية التى دونها كل غاية أو أنه أصاب الهدف الذى يتضاءل أمامه كل هدف

. . .

والآن ، ما رأى الجامعة ... الجامعة التى أصبحت توصد الباب من دون كل طالب علم فى غير تحرج لتذكرنا بأيام الجهالة الأولى حين كان الاستعباد يقوم سدا منيعاً يحجب النور عن البلاد ، حين كان العلم حراماً على كثير من الناس استصغاراً لشأنهم وامتهاناً لأقدارهم ، حين كان الجهل يغمر آفاق البلاد عن عمد وإصرار ليستبد ظالم أو يستعبد غاشم ... ما رأى الجامعة التى هى أكبر جامعة عربية فى العالم والتى أنشأها عاهل كبير لتفجاب غمة أو تنكشف ظلمة

ما رأى الجامعة التى تعلم المنطق والعقل ، ما رأيها فى المنطق المختل الذى يتذرع بأسباب واهية ليست من المنطق ولا من العقل ليوهم الناس بأن شهادة عليا يعترف بها قانون الدولة فيخول حاملها حقوقا علمية وحقوقاً مادية وحقوقا دستورية ... ليوهم الناس بأن شهادة عليا هذا شأنها هى فى نظار الجامعة التى تعلم المنطق والعقل أقل من شهادة التوجيه . ولا عجب فمنطق الجامعة إذن — يعترف بالسمو إلى أسفل أو يؤمن بالتقدم إلى الوراء

وما رأى الجامعة — وهى أخت الجامع — وفى الجامع الذى لا يرد قاصداً ولا يصد طالباً حين ينادى المنادى أن : حى على الصلاة وحى على الفلاح . وما بال الجامعة توصد الباب فى وجه القاصد وتتنكر للطالب كلما دقت ساعتها الدقات المدوية أن : حى على العلم ، حى على الفلاح

وإذا تنكبت الجامعة عن القصد أو حادت عن الجادة فمن عسى أن يكون الحكم سوى الأساتذة الأجلاء ؟ وإذا أغلقت الجامعة رسالتها الجامعية ونسيت روحها العلمية فمن عسى أن يكون الناصح سوى الأساتذة الأجلاء ؟ وإذا ضاقت الجامعة بمبادئها السامية أو تنكرت لهدفها العالى فمن عسى أن يكون الهادى سوى الأساتذة الأجلاء ؟

إن القضاة الذين ينشرون روح العدل على الأرض هم أبناء الجامعة البررة ، وإن أعضاء مجلس الدولة الذين يردون إلى كل ذى حق حقه ويدفعون عن كل مظلوم العسف هم أبناء الجامعة البررة ؛ ولكننا نخشى أن تكون روح أمثال دنلوب ما تزال تعيش بيننا فتتغلغل فى ستر إلى أعماق النفوس فتنفث فيها روح الظلم والمنت ، أشياء نحاول أن نمحوها من نفوس عاشت فى ظلام الاستبداد فاستقامت إليه زمانا

ولكن ، أيتها الجامعة ، كونى كدأبك أبداً فأضيئى النور فى غمرات الظلام ، وابعثى الحرية فى ظلمات الاستعباد ، واخلقى العقول الحرة الجريئة لتبلغى الهدف السامى الذى من أجله ناضلت عنه منذ سنوات وسنوات . وكونى كدأبك أبداً أخت الجامع

كامل محمود حبيب

آلام فرتر

للأستاذ أحمد حسن الزيات

الطبعة السادسة الجديدة

هى القصة العالمية الواقعية الخالدة للشاعر الفيلسوف « جوته » الألمانى .

صور فيها : عواطف الشباب فى وقت نزوعه إلى الحب وولوعه بالجمال واتحاده مع الطبيعة... وقد قال عنها لصديقه (أكيرمان)

« كل امرىء يأتى عليه حين من دهره يظن فيه أن (آلام فرتر) إنما كتبت له خاصة » .

ترجمتها العربية تتفق مع أصلها فى قوة الأسلوب ودقته وأناقته وجماله... وهى مثال للترجمة الأمينة التى تنقل الصورة والفكرة وما يقوم بهما من الروح والخيال والعاطفة ...

تطلب من مجلة الرسالة وثمنها ٤٠ قرشاً عدا أجرة البريد